

خطة دراسية للانتماء

□□□□ □□□□ □□ □□□□ □□□□ □□□□□□ □□□□□□□□

إن الشعور بالانتماء شيء يريده كل منا ويحتاج إليه. نريد أن نكون محاطين من قبل أولئك الذين يحبوننا، من قبل الأصدقاء، وأعضاء مجتمعنا الأكبر. إن عائلتنا، بالطبع، هي الأقرب لنا. هم أول من يحبنا ويعطينا شعور بالانتماء غير مشروط. ولكن هناك ما هو أكثر من الانتماء للأسرة. لكي نشعر أننا كاملين ومقبولين يجب أن نكون جزءاً من المجتمع الأكبر. نحتاج أصدقاء يهتمون بنا لمجرد أنهم يحبوننا. بدون دائرة الأصدقاء نشعر أننا ينقصنا شيء. هناك فراغ لا يمكن للعائلة وحدها أن تملأه. إن عدم القبول وعدم الإدراج كعضو في المجتمع الأوسع يعني حياة الوحدة والألم والتي لا يوجد لها علاج. ولقد عرف المجتمع الآثار السلبية للوحدة لسنوات عديدة. وقد وثقت العديد من الدراسات الطبية والاجتماعية الآثار السلبية للوحدة وأعادت توثيقها. ربما فهمت الأم تيريزا هذه الآثار بشكل حدسي. وقالت ذات مرة، "الوحدة أظع صور الفقر".

وعلق ديفيد بيبونيك على الصلة بين الإعاقة والوحدة في بحثه الصادر في يناير 2010 بعنوان "أهمية الانتماء". وأكد أن العديد من الناس الذين يعانون من الإعاقة يعيشون حياة الوحدة والعزلة الشديدة. يعتمد الكثير منهم بشكل حصري تقريباً على رفقة أسرهم؛ وبعضهم فقد أسرهم ويلجئون إلى العاملين في مجال الرعاية من أجل الحصول على الدعم والشعور بالانتماء. ونظراً لأن العاملين في مجال الدعم يأتون ويذهبون في حياة المرء، فيمكن أن يكون الفراغ الاجتماعي الناتج مدمراً. هذا هو ما يحدث لكثير من الناس الذين يعانون من الإعاقة والذين يمثل لهم العثور على أصدقاء حميمين تحدياً مدى الحياة.

تتشكل دائرة أصدقائنا وخصوصاً عندما نكون صغاراً عندما ندخل المدرسة. بعد الأسرة تعد المدرسة أهم عامل في المجتمع يحدد ما إذا كنت تنمي الشعور بالانتماء إلى مجتمعك. تعلمنا المدرسة عن مجتمعنا وكيفية التعايش مع بعضنا البعض أكثر من أي شيء آخر. يعتقد المعلمون أن الطلاب يذهبون إلى المدرسة للتعليم. يعرف الأطفال أنهم يذهبون إلى المدارس لاكتساب أصدقاء. فالمدرسة هي أول مكان ننمي فيه جميعنا الشعور بالانتماء إلى المجتمع الأكبر بعد عائلتنا. ليس من غير المألوف أن يكون أصدقائنا المقربون الذين التقينا بهم في المدرسة جزءاً من حياتنا.

أقول "جميعنا" أعلاه، ولكن نظام المدارس ليس لديه سجل قوي فيما يتعلق بخلق الشعور بالانتماء لدى الكثير من الشباب الذين يعانون من إعاقة. لسوء الحظ، فإن الطريقة التي تميل مدارسنا إلى العمل بها تجعل الكثير من الشباب الذين يعانون من الإعاقة غرباء. يبقى الطلاب المعاقين على مبعدة من الآخرين في معظم الأنظمة المدرسية. بالنسبة لي، هذا ليس خطأ المعلمين. فقد تعلم المعلمون في برامج الإعداد المهني الخاصة بهم ومن خلال خبراتهم في التدريس أن الطلاب المعاقين يحتاجون إلى معاملة خاصة، ومعلمين خاصين، وحافلات خاصة، وبرامج خاصة، ومساعدات تربويين، وبيئات منفصلة ليتعلموا فيها بشكل فعال. يشكل كل ذلك حواجز لقيام صداقات مع الأطفال الآخرين. على الرغم من وجود استثناءات محدودة، إلا أن سلوك معظم الأنظمة المدرسية يقنع الطلاب الآخرين أن أقرانهم من ذوي الإعاقة يجب معاملتهم بطريقة مختلفة. ولا يعمل أي شيء في قائمة الاحتياجات الخاصة السابقة على خلق شعور بالانتماء إلى المجتمع الأكبر، بل إن كل شيء في القائمة يعمل على خلق الحواجز بين الطلاب الشباب الذين يعانون من إعاقة وأصدقائهم المحتملين. كيف يمكنك تنمية الشعور بالانتماء بينما تعاملك مع أقرانك

النمطيين محدوداً في الوقت الذي تحتاج فيه إلى زيادته إلى الحد الأقصى؟ كيف يمكنك أن تعلم كيف يعمل أقرانك النمطيين؟ كيف يمكن أن يعلموا أنك تعمل كما يعملون إلى حد كبير؟

هذه أسئلة هامة. وقد ذكرت سابقاً أن ديفيد بيتونياك كتب عن المعاقين الذين يعيشون حياة الوحدة والعزلة عندما لم يعد لديهم عائلة ينتمون إليها. بمجرد رحيل الأسرة يصبحون معتمدين على مقدمي الدعم بأجر. إنه لأمر مأساوي أن يرى العديد منهم في هؤلاء العاملين أصدقاء لهم فقط لأنهم ليس عندهم سواهم. هذا ليس خطأ مقدمي الدعم، بل هو خطأ المجتمع الذي ينأى بأعضائه عن بعض الناس بسبب اختلافات متصورة.

ويمكن أن نجد الإجابة في الأنظمة المدرسية التي تجمع جميع شباب المجتمع معاً بإنصاف خلال سنوات تكوينهم اجتماعياً. فقد تخلص المربون الذين يمارسون التعليم الشامل من معظم الحواجز التي تعوق تكوين الصداقات والانتماء والتي تكون شائعة في النظم المدرسية المتشعبة بنموذج التعليم الخاص. ربما كان هذا النموذج مقبولاً في الماضي عندما شعرنا أنه الحل الوحيد الممكن. ومع تزايد فهمنا لمحررات نهج التعليم الخاص وقيم تعليم جميع الطلاب معاً، تعلمنا أن الفصل في المدارس له نتائج مؤسفة وغير ضرورية. ونحن نعلم أن هذا النهج الشامل الذي يدرك الحاجة إلى التحصيل الدراسي الفردي الأمثل لجميع الطلاب وكذلك الحاجة للإنجاز الاجتماعي الأمثل يتجنب العديد من هذه النتائج. تزيد محركات التعليم الشامل مجتمعة من إمكانية تنمية شعور قوي بالانتماء لدى جميع الطلاب. بالإضافة إلى ذلك، يوثق البحث حقيقة أن الطلاب الذين يعانون من إعاقة يصلون إلى مستويات أعلى من التحصيل الدراسي والانجاز الاجتماعي عندما يتعلمون في مؤسسات التعليم الشامل. هناك أيضاً فوائد عرضية للطلاب النمطيين. ولهذا اتجهت الأمم المتحدة إلى إدراج الطلاب المعاقين كاستجابة أقوى من استجابة نموذج التعليم الخاص لتلبية احتياجات جميع المتعلمين.

تصف صديقتي وزميلتي، كريستال تشين، التي تعاني من إعاقة بدنية تجربتها في الفصول الدراسية العادية كطالبة "موجودة ولكن غير مشاركة". ولاحظت تفاعل أقرانها النمطيين وتكوينهم صداقات وتنمية الشعور بالانتماء في الفصول الدراسية والمجتمع المدرسي. كانت تجربة كريستال تنطوي على مشاهدة كل ما يحدث مع عدم المشاركة فيما يحدث. ربما كان اقتقاد هذه الخبرات الاجتماعية السابقة والمستمرة هو ما يؤدي إلى الشعور بالوحدة والعزلة في الحياة فيما بعد. إذا وُضع المرء في دور المراقب بدلاً من المشارك في تفاعلات اجتماعية منصفة من سن مبكرة فربما يشكل ذلك نمط حياة.

ومن غير المنصف أن نقول أن تجربة المدرسة المبكرة هي العامل المحدد الوحيد أو الرئيسي لتنمية الشعور بالانتماء. ومع ذلك، فليس من الظلم أن نقول إن تجربة المدرسة تؤثر على جميع الطلاب. بالنسبة لمعظم الطلاب تساهم هذه التجربة في تنمية شبكة اجتماعية قوية بما فيه الكفاية، ومهارات اجتماعية مطلوبة للاختلاط هروباً من الشعور بالوحدة والعزلة في الحياة فيما بعد. وبالنسبة لآخرين، لاسيما في حالة الإعاقة، قد تكون التجربة أقل نجاحاً.

تزعم كل أنظمة المدارس الكندية الآن أنها شاملة. بعضها كذلك وتحدث فيها أمور جيدة. بينما لا يزال أكثرها يعتقد أن بعض الطلاب لا يمكنهم الاستفادة من التعلم مع أقرانهم النمطيين. ويستمرون في دعم هياكل التعليم الخاص وطرقه والتي لا تؤدي إلى الشعور بالانتماء عند الأغلبية. أسأل الأشخاص الذين جربوا التعليم الخاص إذا لم تكن هذه هي تجربتهم معه.

وستحسن حياة الكثيرين إذا قام الآباء وغيرهم بالضغط على السياسيين وغيرهم للانتقال إلى التعليم الشامل للجميع بدون التلاعب بالألفاظ. نحن نعلم إن إدراج المعاقين يؤدي إلى شعور أقوى بالانتماء إلى المدرسة وإلى المجتمع الأكبر. إذا بدأنا الآن، يمكننا تغيير المستقبل.